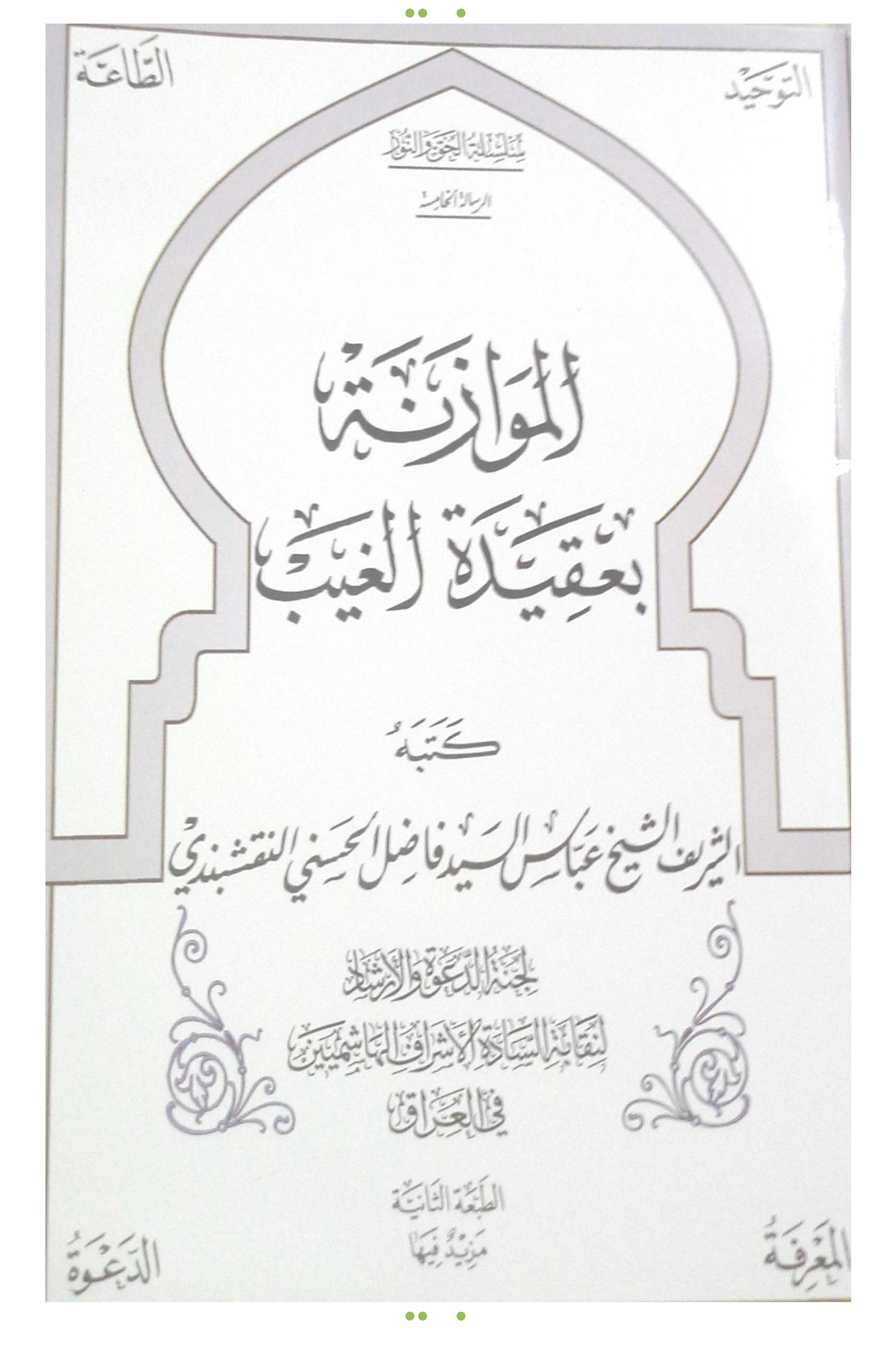

التوحيد
الطاعة
سلسلة الحق والنور
الرسالة الخامسة
الموازنة
بعقيدة الغيب
كتبه
الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني النقشبندي
لجنة الدعوة والإرشاد
لنقابة السادة الأشراف الهاشميين
في العراق
الطبعة الثانية
مزيد فيها
المعرفة
الدعوة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الموازنة بعقيدة الغيب

الحمد لله الفتاح وحده. العليم الخبير؛ القائل: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾ [1]، والصلاةُ على عبدهِ وحبيبهِ النبي الأمي، فاتحِ باب العلمِ وعينِ اليقين، خاتمِ الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين، وعلى أهل بيته وأصحابه وأتباعه ـ أهل الصدق والصفا والوفا ـ وسلِّم وبارك إلى يوم الدين يا رب العالمين.

أمَّا بعدُ: فقد قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [2].

(١) سورة التكوير.

(٢) سورة الأنعام.

فمـن بـاب الأمانـة والمحبـة ـ لأهـل العقيـدة والإنابـة والـدعوة، نطـرح هـذا التسـاؤل المهـم ومحاولين الإجابـة عنـه فنقـول: هـل عنـدَ ذاتِ الله غيبٌ؟ وهل يَعْلمُ ـ جَـلَّ وعلا ـ كلُّ الغيبِ؟ وهل يُحيطُ بالجزئيـات بذاتـهِ الأقـدس؟ وهـل أَنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُعلِّم عبادَه الغيبَ أم لا يُعلّم ؟.

فنقول وبـالله التوفيـق: إن الجـواب علـى هـذه التساؤلات المهمة يحمل أوجه عدة.

الوجه الأول: إن الله ليس عنده غيبٌ فكـلُّ مـا في الكون من خزائن وجزئياتٍ فهو معلومٌ ومشاهَدٌ عندهُ ـ سبحانه ـ قبل تكوينه وبعد وجـودهِ؛ لقولـه تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، فمـا كـان غيبـاً قبـل

(١) سورة الحشر.

الوجود فهو معلومٌ عند ذات الله الأقدس ـــ تَبـارك ربنا وتعالى وتقدس ـ وما كـان بعـد الوجـودِ فهـو معلومٌ ومُشاهدٌ أيضاً ـ وهذا ظاهرٌ بالإدراك لنـا مـا نَراهُ وما لا نَراهُ وهو موجودٌ؛ لقوله تعـالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [(١)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [(٢)]، فالأشـياءُ ثلاثـةٌ: الجهـرُ، والسـرُّ، والأخفى؛ فهذه الأمور عنده ـ جلَّ وعـلا ـ معلومـةٌ ومشاهدةٌ ظاهراً وباطناً؛ كما قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [(٣)]، وقـــــــال تعـــــــــالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة طه.

(٣) سورة الحديد.

وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ
ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ
بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾ [1].

إذن: فالغيبُ عِندَهُ ـ جلَّ وعلا ـ مُشَاهَدٌ؛ والمشاهَدُ عندنا وهو: الكونُ، أظهرَهُ الله تعالى للوجود؛ فهو مُشاهَدٌ بكل جزئياتهِ عند ذاتهِ الأقدس ـ جَلَّ جلال العليم الخبير، مع استغنائه المطلق عما خلق، لا إله إلا هو الملك القدوس، القائل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [2]، **فالغيبُ عِندَنا، مع وجوب الإيمان به؛ كما قال الحقُّ جلّتْ**

(١) سورة الرعد.
(٢) الشورى.

عظمتُـــــــــــهُ: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [1].

الوجــه الثــاني: قولــه تعــالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ٥٩﴾ [2]، فمعناه خزائنهُ ومعلوماتــهُ ــ وجمــعُ مَفتَحْ بفتح الميم وهو المخزن أو مـا يتوصـل بـه إلى المغيبات، وهو مستعارٌ من المفـاتح الـذي هـو جمـعُ مِفــتَح بالكســر وهــو المفتــاح ويؤيــده بقــراءة ﴿مفاتيح﴾ومعنـى ذلـك: أنـه المتوصـل إلى المغيبـات المحيط عِلمهُ بـها ـ بكل غيبٍ بذاته الأقدس ـ جلَّ وعــــلا؛ لقولـــــه ســـــبحانه وتعـــــالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ ٥٩﴾ [3]، وهـــو مبالغـــةٌ في إحاطـةِ علمـهِ بالجزئيـاتِ، لقولـه تعـالى: ﴿وَأَحَاطَ

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) سورة الأنعام.

بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، فهو دليلٌ آخر على كونه تعالى عالماً بالجزئياتِ، وقال أيضاً ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[2].

روى البخاري: أن النبي ﷺ قال: «إن الله يصنعُ كل صانعٍ وصَنعَتهُ»، وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3]، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة[3].

---

(١) سورة الجن.

(٢) سورة يونس.

(٣) سورة الصافات.

(٤) «خلق أفعال العباد» للإمام أمير المحدثين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري . عليه رحمة الله الباري (ت٢٥٦هـ) ص(٤٦)، «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت٨٥٢هـ) (٤٩٨/١٣)، «تاريخ بغداد» لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)=

فسبحان الذي لا يبعدُ ولا يغيبُ عن علمهِ الشامل مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، فكيفَ يغيبُ عن جلالِهِ وجَمالِهِ الأقدس ـ أفعالُ عبادِهِ وأحوالُ أحبابِهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ (١)

ـ ثم لفظ ﴿مفاتح﴾ يمكن أن يكون المراد منه المفاتيح ويمكن أن يراد منه الخزائن؛ وفي البلاغة: (يُذكرُ اللفظُ القرآنيُ ويُرادُ به أكثر من معنى)، (بل قد يُذكرُ اللفظُ ويُرادُ به بكل معانيه).

ـ ذكر الإمام الرازي في «تفسيره» عن الآية الشريفة قائلاً: أمّا على التقدير الأول: فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح

=(٢/٣١)، «تاريخ دمشق» علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)(٥٢/٩٣).

(١) سورة محمد.

يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في تلك الخزائن.

(ولله المثل الأعلى)[1] فكذلك ههنا الحق سبحانه لما كان عالماً بجميع المعلومات عبر عن هذا المعنى بالعبارة المذكورة، وقرئ ﴿مفاتيح﴾.

وأما على التقدير الثاني: فالمعنى: وعنده خزائن الغيب. فعلى التقدير الأول يكون المراد العلم بالغيب، وعلى التقدير الثاني المراد منه القدرة على كل الممكنات؛ كما في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[2]، وللحكماء

(١) (ولله المثل الأعلى) هذه الزيادة ليست من النص، بل هي من المؤلف.

(٢) سورة الحجر.

في تفسير هذه الآية كلام عجيب مفرع على أصولهم فإنهم قالوا: ثبت أن العلم بالعلة علة للعلم بالمعلول وأن العلم بالمعلول لا يكون علة للعلم بالعلة. قالوا: وإذا ثبت هذا فنقول: الموجود إما أن يكون واجبا لذاته، وإما أن يكون ممكناً لذاته، والواجب لذاته ليس إلا الله سبحانه وتعالى. وكل ما سواه فهو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بتأثير الواجب لذاته وكل ما سوى الحق سبحانه فهو موجود بإيجاده كائن بتكوينه واقع بإيقاعه. إما بغير واسطة وإما بواسطة واحدة وإما بوسائط كثيرة على الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً. إذا ثبت هذا فنقول: علمه بذاته يوجب علمه بالأثر الأول الصادر منه، ثم علمه بذلك الأثر الأول يوجب علمه بالأثر الثاني؛ لأن الأثر الأول علة

قريبة للأثر الثاني. وقد ذكرنا أن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول، فبهذا علم الغيب ليس إلا علم الحق بذاته المخصوصة ثم يحصل له من علمه بذاته علمه بالآثار الصادرة عنه على ترتيبها المعتبر، ولما كان علمه بذاته لم يحصل إلا لذاته لا جرم صح أن يقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾. اهـ[1].

الوجه الثالث: إن الإحاطة بجميع الغيبِ لا تكون إلا لله وحده ـ جَلَّ جَلالهُ وعمَّ نوالهُ، وإذا شاء بذاتهِ عَلَّم؛ لذلك فإن الشرائع والأديان من وحيهِ وتعليمهِ ـ عزَّ و جَل. وإذا قُلنا لا يَعْلمُ ﴿الغيبَ إِلَّا اللَّه﴾: أي لا يَعْلمُ بذاتهِ الغيبَ حقيقةً استغراقيةً بالإحاطةِ والجزء إلا الله ـ جلَّ في علاه؛ وإذا شاء عَلَّمَ، وهو علمٌ عطائيٌ مكتسب من الله تعالى

(١) ((التفسير الكبير)) لأبي محمد بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ((الفخر الرازي)) (ت٦٠٦هـ) (٩/١٣).

لبعض عباده مثل الأنبياء ـ عليهم السلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [1] وإذا كان الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ لا يُعلِّمُ أحداً، فمن أين جاءت شرائعُ الله! فيتحول الأمرُ إلى فكرٍ بشري وقوانينَ وضعيةٍ باطلةٍ ضالة؛ مع العلم أن الله قد أذِنَ بالفتح برحمتهِ من الغيب بإذنه وحده ـ جلَّ وعلا ــ لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿٢٥٥﴾﴾ [2]، بمعنى يَعلمُ ما مضى وما بقى وهو غيبٌ، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴿٢٥٥﴾﴾ [3]، وهي الإحاطةُ بمعلوماتِهِ التامة بذاتهِ الأقدس؛ ولا يعرفُ كلَّ المعرفةِ عن ذاتِ الله الأقدس إلا ذاتُه ـ تقدست

(١) سورة يوسف.

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة .

أسمـــــاءهُ وصـــــفاتهُ، كمـــــا قـــــال تعـــــالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ١١٠﴾[1] وما عَلِمتَ عـن ذاتـــهِ فمن ذاتهِ ـ تَبارك رَبُّنا وتَعالى وتَقَدس، عـن طريـق وحيهِ ـ جلَّ وعلا ـ وأنبياءهِ ورسلهِ ـ عليهم السلام ـــ وسُـــبلِ هدايتـــهِ؛ لقولـــه تعـــالى: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ ٢٥٥﴾، وهذا التعليم ليس لعموم الغيب ـ أي الإحاطة؛ لأن الله ﷻ هو المتفـردُ بالاحاطـةِ بالغيـب علمـاً؛ لأن العلـمَ بكـل شـيء مـن صـفات الحـق سـبحانه. قـــال تبـــارك وتعـــالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[2]؛ وبعض الغيب بمشيئته سبحانه، يكون على قدر مستحق الأمر الإلهي ولـهُ: ثلاثـةُ مراتـبَ لتعليمِ الغيبِ :

(١) سورة طه.

(٢) سورة الحديد.

المرتبةُ الأولى[الرسالةُ]؛ والمرتبةُ الثانية: [القلبُ]؛ والمرتبةُ الثالثة: [القلمُ].

أما المرتبةُ الأولى فهي: الرسالةُ، والنص الشريف مبين لهذا الحكم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [1]، فالرسول يُوحى إليه عن ربهِ ـ تَبارك وتعالى ـ بواسطة جبريلَ عليه السلام بشريعة الأديان، ومنها شريعةُ الإسلامِ الجامعة الخاتمة، ومنهُ بغير واسطة جبريلَ؛ لأن جبريلَ عليه السلام هو الشاهدُ في الواسطي للأحكام على العموم، وما وقعَ لموسى النبي عليه السلام من كلام اللَه بغير الواسطي شاهدٌ في آيات القران المجيد؛ ومنهُ كلامهُ ـ تَقدَست أسماءهُ وصفاته ـ لحبيبهِ محمّدٍ ومصطفاه ـ صلواتُ ربي عليه وسلامه، في المعراج

---

(١) سورة الجن .

و بما أُمر عن ربه ﷻ بالصلاة بغير واسطة جبريـل ﵇. واعلم: أن الوحيَ نوعان: وحيٌ تكريمٍ، ووحيٌ تبليغٍ. أما وحيُ التكريمِ فهو: أن يكلم اللهُ محمداً ﷺ بدون واسطةٍ، وهو أكرم من وحي التبليغ، ولكنه لا يصحُ أن يكون مستنداً للأحكام لعدم شاهدٍ بينه في الواسطي؛ ووحيُ التبليغِ وهـو: أن يُنَـزلَ اللهُ آياتـهِ بواسـطةِ جبريـلَ ﵇ فيصـحُ أن يكـونَ مأخـذاً للأحكام ـ لوجودِ الشاهدِ فيها وهـو جبريـلُ ﵇. وما وقع لرسولِ اللهِ محمّدٍ ﷺ عن الصلاةِ فهو: وحيُ تكريمٍ وتبليغٍ؛ فقد أُمـر ﵇ بالصـلاة في المعـراج بدون الواسطي، ثم جـاءت الآيـاتُ الشـريفة تـترا بواسطة جبريل ﵇ عن الصلاة في القـران المجيـد كثيرا. فافقه، وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنـا ممـن يَخشاه ويَتقيه حَقَ تُقاتهِ. آمين يا رب العالمين.

المرتبة الثانية وهي: القلبُ، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [1]، لذلك فإنَّ الملائكةَ الكرام تطّلع إلى الأمر النازل من الغيب القدسي من كلام رب العالمين ـ سبحانه ـ في اللوح المحفوظ، ويحفظون سر الأمر لوصوله إلى القلب الشريف ـ صلواتُ رَبي عليه. فالله الذي أعطى القوةَ والعلمَ بإذنهِ وهو راضٍ، فهو ـ جَلَّ جَلالُهُ وعمَّ نوالُهُ ـ الذي يُعلّم أحبابَهُ من الأنبياء، والصالحين بدلالة، أولاً: ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾: للرسل، بالوحي والعصمة ـ معجزةً؛ كما جاء في «الصحيحين» عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ

---

(١) سورة الجن.

نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ» (١)، وحديث البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ» (٢)، وحديث مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ في خطبته ﷺ من الفجر إلى الغروب، وفيه «فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا» (٣)، قال القاضي عياض: «والأحاديث في هذا الباب بَحرٌ لا يُدرك قِعره، ولا

(١) «صحيح البخاري» كتاب القدر- باب وكان أمر الله قدراً مقدورا «صحيح مسلم»، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) كتاب الفتن وأشراط الساعة . باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٢) «صحيح البخاري» كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قول الله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق».

(٣) «صحيح مسلم» كتاب الفتن . باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة.

يُتـرف غمره[1]، وهذه المعجزةُ مـن جملـة معجزاتـه المعلومة على القطـع الواصـل إلينـا خبرهـا علـى التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطـلاق على الغيـب))[2]. اهــ واعلـم يـا أخـي في الله، أن أعلى من عَرَفَ الله واتقاه هو رسول الله ﷺ القائل: ﴿إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا﴾ [3]، وهو ﷺ أعظم ممـن

---

(١) ومن هذه الأحاديث: حديث محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ) في كتاب التفسير . باب سورة ص . عن معاذ بن جبل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم:((فرأيته عز وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي.فتجلى لي كل شيء وعرفت)) وكما في ((المعجم الكبير)) لأبي القاسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) (٢٠/١٠٩) و((مسند احمد)) لأبي عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) كتاب مسند الأنصار . باب حديث معاذ بن جبل. وحديث ابن عباس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((فعلمت ما في السموات والأرض)) كما في ((مجمع الزوائد)) لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)(١٧٦/٧). وفي ((مسند أبي يعلى)) لأحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت٣٠٧هـ) (٤٧٥/٤): ((فعلمت ما بين المشرق والمغرب))، وحديث ((مسند الإمام احمد)) كتاب مسند الأنصار . باب حديث أبي ذر الغفاري: ((لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما))، وحديث الطبراني في ((الكبير))، و((حلية الأولياء)) لأبي نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) (٦/ ١٠١): ((إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه)).

(٢) ((الشفا))للحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي(ت٥٤٤هـ) (٢٤٩/١).

(٣) ((صحيح البخاري)) كتاب الإيمان . باب قول النبي: ((أنا أعلمكم بالله)).

علّمه الله ورفعه؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴿٢٥٣﴾﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [2]، روى الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ» ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ أَنِّي قُمْتُ مِنْ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة النساء.

فَاسْتَثْقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ قَالَ: ثُمَّ فِيمَ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَلِينُ الْكَلَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ قَالَ: سَلْ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّموهَا﴾ (١).

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب تفسير القران . سورة ص. قال: حديث حسن صحيح، وقال: سألت محمد بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي ((مسند احمد)) كتاب مسند الأنصار . باب حديث معاذ بن جبل.

- ولأحبابه الأولياء، بالمحبة والرحمة - كرامةً وحفظاً وفتحاً منه - جلَّ وعلا؛ لأن العالم الولي وارثٌ لعلم النبوة؛ لقوله ﷺ: ﴿الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ﴾[1]، ومنه الحكمة التي هي سِرٌّ النبوة؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[3]، فيؤتي: فعل مضارع وهو: للحال

---

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب العلم . باب العلم قبل القول والعمل، وأخرجه أيضاً الأمام البخاري في ((التاريخ الكبير)) بطرق متعددة؛ ((سنن الترمذي)) كتاب العلم . باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ((سنن أبي داود)) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)كتاب العلم . باب الحث على طلب العلم؛ ((صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)) لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، (٢٨٩/١).

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة البقرة.

والإستقبال وليس «أتى»، فهو: تعليمٌ وفتحٌ من لدنه برحمتهِ ـ جلَّ وعـلا ـ والحكمـةُ مـن عظـيمِ الفـتحِ الإلهي، وإذا أوقفنا الفتحَ ومنه الحكمة ـ فقد قَيدنا رحمةَ الله للعالمين على طريق الشمولية والدوام.

وأعلـم: أنَّ الكهانـة والعرّافـة خارجـان عـن الرضوان والحكمة، وهما تنجيمٌ وشَعبنةٌ أو شعوذةٌ، والأمر فيهما بين الكفر والكبيرة ـ والعياذ بالله.

وأعلم: أنَّ العارف بالله لا يعرفُ شـيئاً بذاتـهِ، ولكن إذا ما علَّمهُ اللَّهُ وفتحَ علـى بصـيرته بإذنـهِ وَرضاهُ، فهو لا يَدري بذاتهِ، ولكن إذا مـا دُريَ عـن ربه ﷻ؛ فماذا يصنعُ هذا العبدُ الفقـيرُ المحـبُ بـينَ يدي الله ـ جَلَّ جلالـهُ وعـمَّ نوالـهُ ـ خدمـةً لأمـة حبيبـهِ ومصـطفاه ـــ صـلواتُ الله عليـه وسـلامه؛ وأعلم: أن الـوليَ العـارفَ لا يـؤَثِرُ بنفسـه شـيئاً،

ولكن إذا ما أخذ اللَّهُ بيده وجعل الأثرَ مؤيداً مـن جَلال قدرته ورحمته، والعبدُ مفتقِرٌ لذاته الأقـدس ـ جلَّ وعلا، وهو صاحبُ المدد لعبدِهِ ومحبهِ؛ لمـا روى الإمام البخاري في ((صحيحه)) عـن أبـي هريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:﴿إنَّ اللَّه قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾[1]، وقـال تعـالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ ﴿٧﴾﴾[2]، فقد عَلّمها الله ﷻ إلهاماً أو رؤيةً وثَبتَ الأمرُ بذلك نصاً شريفاً، وما فُعِلَ مع السيدة

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب الرقاق. باب التواضع.

(٢) سورة القصص.

الجليلة الكاملة[1] مريم بنت عمران ـ رضي الله تعالى عنها؛ فقد قال الله تعالى عنها في كتابه المجيد:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ

(١) أي: كمالٌ نسبي، أو كمالُ الأحوالِ في مقام العبودية والمعرفة الإلهية، إلى معارِج الحب والرضوان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((كَملَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْت عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) ((صحيح البخاري)) كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى: ((وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة)) ((صحيح مسلم)) كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل خديجة أم المؤمنين. وفي ((تفسير الطبري)) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)) وقال ابن حجر في ((الفتح الباري)) (٦/٤٤٧): وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله: ومريم ابنة عمران " وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد " أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا, وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواته عند الطبراني بهذا الإسناد, وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به, وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي بلفظ "خير نسائها خديجة" وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في "كتاب الزهد" والحاكم كلهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون " وله شاهد من حديث أبي هريرة في "الأوسط للطبراني" ولأحمد في حديث أبي سعيد رفعه "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران" وإسناده حسن.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾[1]، وهذا من طريقٍ غير مألوف، ونداء الملائكة لها غير مألوف، ورؤيتها لجبريل عليه السلام ليست بمألوفة، وحملها سيدنا عيسى عليه السلام بلا مس بشر غير مألوف، وكلامه عليه السلام وهو في المهد من أجل براءتها ليس بمألوف، وتلك الكرامات العظيمة حكاها القران فلا شك فيها ولا ريب؛ وهذا جزء يسير لما وقع من رحمةِ الله وفتحهِ للأمم السالفة، وما اختُصتْ هذه الأمة الإسلامية أوسع وأعظم، وهي: ما عليها الأمة بالتواتر اللفظي والمعنوي؛ ومنها ما وقع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى سارية قائد المسلمين في نهاوند وهو على منبر رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وناداه وأسمعه ولبى

---

(١) سورة آل عمران.

سارية ﷺ وهذا الأمر الرباني كان سَبَبَ النصرِ آنذاك[1]؛ وهذا جَدُنا عليٌ ﷺ، وكرم الله وجهه لما أتت الليلة التي استشهد في صبيحتها جعل يكثر من الخروج من البيت والنظر إلى السماء، وجعل يقول: ((والله ما كذبت وما كذبت. وإنها الليلة التي وعدت)) واقبل عليه الإوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال: ((دعوهن فإنهن نوائح))[2]؛ومن عظيم المنزلة عند الله ﷻ قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ﴾[3]،ولقوله ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأْتِي

(١) ((الإصابة في تمييز الصحابة)) لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت٨٥٢هـ) (٦/٣) ((تاريخ الخلفاء)) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) (ص١١٣)، ((تاريخ دمشق)) (١٩/٢٠).

(٢) ((الصواعق المحرقة)) لأحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ) (ص ١٣٤) ((أسد الغابة)) لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ " ابن الأثير " (ت٦٠٦هـ) (٨٠٣/١).

(٣) ((صحيح البخاري))،كتاب المناقب . باب مناقب سعد بن معاذ ((صحيح مسلم))، فضائل الصحابة . باب فضائل سعد بن معاذ، ((سنن ابن ماجه)) لأبي عبد الله محمد بن يزيد=

زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ﴾ (١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، حُرّاساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم، وكرامات الأولياء لتعليم الغيب بإذنه تعالى إنما تكون تلقياً من الملائكة، كإطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء ـ

=القزويني (ت٢٧٥هـ) المقدمة . باب فضل سعد بن معاذ، وذكره الإمام احمد في ((مسنده)) بلفظ: ((وجنازة سعد موضوعة اهتز لها عرش الرحمن عزوجل))، كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ولفظه عند الترمذي في ((سننه)): ((وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز له عرش الرحمن))، كتاب المناقب . باب مناقب سعد بن معاذ.

(١) ((مسند احمد)) ، كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي سعيد الخدري ((صحيح البخاري))، كتاب الجهاد والسير . باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ((صحيح مسلم))، كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ (١).

ومنه الإلهام والنفث في الرُوع بإذنه ــ تبارك وتعالى؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وإن الروح الأمين قد نفث في رُوعي﴾ (٢)؛ وإطلاعُ الملائكةِ على النازل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، إلى القلب الشريف، مناسبةٌ بين الملائكةِ من عبادهِ وأحبابهِ العارفين بالله ـ بالتعليم منه ـ جلَّ وعلا،

(١) سورة فصلت .

(٢) الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه وإن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فأجملوا في الطلب)) ((مسند الشافعي)) للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) (١/ ٢٣٣)((شعب الإيمان)) لأبي بكر احمد بن الحسين علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)(٢/ ٦٧)، وفي رواية: ((هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وان أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته)) ((مسند البزار)) لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢هـ) (٧/ ٣١٥).

لقولــه تعــالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [1]، لما روى الطـبري في تفسيره المأثور[2] قـال: قـال ابـن عبـاس رضـي الله عنهما: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ٦٥﴾، وهبنـا لـه رحمـةً من عندنا، ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾، يقول: وعلمناه من عندنا أيضاً علما؛ وعِلمُ الله غيبٌ، قال العلامـة الألوسي في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾، أي علماً يكتنـه كنهـه، ولا يقـدر قـدره وهـو علـمُ الغيوبِ وأسرارُ العلومِ الخفية، وذكر أنه يفهم مـن فحـوى ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أو مـن تقديمـه علـى ﴿عِلۡمٗا﴾ اختصاصُ ذلك بالله تعالى كأنـه قيـل علمـاً

(١) سورة الكهف.

(٢) «جـامع البيـان فـي تفسـير القـرآن» لأبـي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبـري (ت٣١٠هـ)(٨/٢٥٠).

يختص بنا ولا يُعلم إلا بتوفيقنا[1]. اهـ وقُصة الخضرِ عليه السلام المذكورة في القران الكريم فيها إطلاع اللّه عز وجل المَلَك، والنبيّ، والولي، عموماً، والخضر خاصةً على بعض الغيب: كما اخبرنا رسول اللّه ﷺ عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ﴾[2].

المرتبة الثالثة: [القلم] قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[3]، فلامُ الجنسِ في الإنسانِ للعمومِ ـ بمعنى: علّم المسلمَ والكافرَ والصالحَ

(١) ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)) لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) (٣٣٠/١٥).

(٢) ((صحيح البخاري)) ،كتاب أحاديث الأنبياء . باب حديث الخضر مع موسى ((صحيح مسلم))، كتاب الفضائل . باب من فضائل الخضر ((سنن الترمذي))، كتاب تفسير القرآن . باب من سورة الكهف ((مسند احمد))، كتاب مسند الأنصار . باب حديث عبدالله بن عباس عن أبي بن كعب.

(٣) سورة العلق.

والمنافقَ بالقلم ما لَـم يَعلمـوا، وقـد انتهـت الآيـة الشريفة بفعل مضارع وهو: للعموم في البلاغة من حالٍ واستقبال ـ أي: قد عَلّمهم الحق بـالقلم مـا لم يَعلَموا، وهـو غيـبٌ، لِيُثبـتَ بمـا تحقـق مـن علـوم الطبيعة والكون في كـل زمـان مـا في القـرآن مـن إعجـازٍ وتحـدٍ، وليُعّـرف البشـرية أن هــذا الــدين الإسلامي الحنيف هو الصالحُ والمصلحُ للأزمان كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وقـد اخـبر ﷺ بكثير من أحوال العصر ومخترعاته؛ وقد بلغت أكثر من مائة حديث عنه ـ عليه الصلاة والسلام.

ـ ونضرب مثـالاً هامـاً علـى جميـع مـا ذكرنـا، ليكون اليقين، والحفـظ لـدين الله والأمـة، بعقيـدةٍ وإنابةٍ ودعوةٍ واحدةٍ، حتى لا يُفترى وتكون الخيانـةً للمصالحِ، والازدواجيةِ، وشطحاتِ الأنانيـةِ. وتبيـان

ذلــك، قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[١]، فقد جاءت الآية الشريفة بالمغيبات الخمسة المتحدى بــها ـ كما قال رسول الله ﷺ: ﴿مفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ﴾[٢]، وقال ـــ عليـه الصـلاة والسـلام:﴿أوتيتُ مفــاتيح كــل شــيء إلا الخمــس ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ

---

(١) سورة لقمان.

(٢) ((صحيح البخاري))، كتاب الجمعة . باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ولفظه عند احمد في ((مسنده)): ((مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ نُزُولَ الْغَيْثِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ السَّاعَةَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ))، كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

غَدًاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾[1]، **قال ابن مسعود: أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير الخمس** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[2].

ـ فما يُرى اليومَ من أمر معلومات الطب في الأرحام، والأنواء، والإعلام، يحتاج إلى إيضاح لذلك: فاعلم: أن الآية الشريفة جاءت بلغة القرآن وبِلُغَتِهِ العربية الموضحة لهذا الإبهام، ومنها براعةُ الاستهلال: فقد جاءت بخبر مقدم ـ والخبر يفيد العموم ، فعمومُ الغيبِ في هذه المغيبات عندَهُ وَحدَهُ ـ جَلَّ وعلا ـ والبعضُ منها وفي غيرها إذا شاء علّم، كما أسلفنا من قبلُ. ولو أخذنا من المغيباتِ الخمسةِ واحدةً وهي: «الأرحام»؛ كما قال تعالى:

---

(١) «مسند أحمد»، مسند المكثرين من الصحابة . باب باقي المسند السابق، ورجاله رجال الصحيح، ((المعجم الكبير)) للطبراني (٣٦٠/١٢)،((مجمع الزوائد)) (٤٧١/٨).

(٢) «مسند أحمد»، كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبدالله بن مسعود. وقال في ((مجمع الزوائد)) (٤٧١/٨): رواه احمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ فـ ﴿يَعۡلَمُ﴾ فعل مضارع للحال والإستقبال وهو: للعموم في البلاغة - فهو - جلَّ وعلا - يَعْلَمُ الإقرار، والتكوين، والحياة المتصلة لحظةً بلحظةٍ من نطفتها إلى ولادتها؛ لقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾[1]، و﴿مَا﴾: بمعنى الذي وتفيد الاستغراق لجميع الأرحام وما أُقِرَ فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ ٥﴾[3]، وهي: كلُ الأرحامِ، وجميعُ الإقرار، وبكلِ التقديرِ ــ وكما

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة الذاريات.

(٣) سورة الحج.

في الكون من مخلوقاتٍ ــ من انسها وجنّها وحيواناتها وطيورها وأشجارها ونباتاتها ومن البكتريا والفيروس وجميع الحشرات وغيرها ما يُعلم وما لا يُعلم،ما يُرى وما لا يُرى؛كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]، إذن: من الذي يعلم هذا الإعجاز والتحدي بكلِ إقراره وحياةِ أشهرهِ وأيامِهِ ولحظاتهِ لكل أنثى الوجود ؟ إلا اللّه ـ الخالق الجليل ـ جلَّ جلالهُ وعمَّ نوالهُ؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾، وهذا هو الغيبُ المتحدى بهِ، لا يَعلمه نبيٌ مرسل، ولا مَلَكٌ كريم، ولا قلبٌ مُلهَم، ولا قَلمٌ مُعلّم؛ وَقس على

---

(١) سورة يس.

ذلك في الإحاطةِ بمُغيباتِ الرّحمن ﷻ. يرحمنا ويرحمك الله، ويوفقنا جميعاً لمرضاته، آمين.

ـ وأمّا بشيءٍ من الأرحامِ ـ كرحم أنسيَةٍ من أنثى البشرِ أو غيره، فهو: للتبعيض الذي أذِنَ الله بهِ ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴿٢٥٥﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، وهو: جَمعُ رحمٍ، والقاعدةُ في اللغة العربية: أن لام الجنس إذا دخلت على المفرد أفادت العموم، وإذا دخلت على الجمع أفادت النوع؛ كما قال الخالق الجليل ـ جَلَّت عظمته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ (٢)، وهذا إعجازٌ غيبيٌّ آخر؛

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة آل عمران .

فالتحـدي بالمغيبـات الـتي لا يَعلَمُهـا إلا الله فهـو: الإقرارُ، والعمومُ، والاسـتغراقُ، والنـوعُ، لكـل مـا خلق الله في أرحام أنثى المخلوقات كلها، ومن لحظة تكوينها إلى ولادتها.

ـ وأمّا قوله تعـالى: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾، فقـد أذِن الحق سبحانه، للنبوةِ بمشيئَتِهِ ورضـوانه عـن طريـق وحي السماء أن يُعلّم النبيّ ﷺ واحداً من الأرحام؛ لما روى البخاري قال: «حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَـةَ أَخْبَرَنَـا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّه بْنِ أَبِـي طَلْحَـةَ أَنَّـهُ سَـمِعَ أَنَـسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ اشْتَكَى ابْـنٌ لِأَبِـي طَلْحَـةَ قَـالَ فَمَـاتَ وَأَبُـو طَلْحَـةَ خَـارِجٌ فَلَمَّـا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ كَيْفَ الْغُلَامُ قَالَتْ قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَـا صَـادِقَةٌ قَـالَ فَبَـاتَ فَلَمَّـا أَصْـبَحَ اغْتَسَـلَ فَلَمَّـا أَرَادَ أَنْ

يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لَعَلَّ اللَّه أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا قَالَ سُفْيَانُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ﴾[1]، واخرج الخطيب، وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: حدثتني أم الفضل ابنة الحارث الهلالية قالت: مررت بالنبي ﷺ وهو في الحجر قال: ﴿يا أم الفضل إنكِ حامل بغلام﴾ قلت: يا رسول الله وكيف وقد تحالف الفريقان أن لا يأتوا النساء؟ قال: ﴿هو ما أقول لك فإذا وضعتيه فائتني به﴾ قالت: فلما وضعته أتيت به رسول الله ﷺ فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، فقال: ﴿اذهبي بأبي الخلفاء﴾ قالت: فأتيت العباس فأعلمته وكان رجلاً جميلاً لباساً فأتى

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز . باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة.

النبي ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قام إليه فقبل ما بين عينيه ثم أقعده عن يمينه ثم قال: ﴿هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه﴾ قلت: يا رسول الله بعض القول فقال: ﴿يا عباس لم لا أقول لك هذا وأنت عمي وصنو أبي وبقية آبائي وخير من أخلف بعدي من أهلي﴾ فقلت: يا رسول الله ما شئ أخبرتني به أم الفضل عن مولودنا هذا؟ قال: ﴿نعم يا عباس إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي﴾ (١).

أو عن طريق القلب: وهو الإلهام والفتح من الله ﷻ عن طريق الإذن والرضوان والرحمة التي لا تتوقف إلى قيام الساعة، ومن أنكر الفتح فقد أوقف رحمة الله على للعالمين؛ ومن ذلك ما روى

(١) ((المعجم الأوسط)) لأبي القاسم سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) (١٠١/٩) ((تاريخ دمشق)) (٣٥٢/٢٦).

الإمام مالك عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ نَحَلَهَا جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ مَالِهِ بِالْغَابَةِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: «وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ وَلَا أَعَزَّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا أَبَتِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْأُخْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ أُرَاهَا جَارِيَةً»(١).

(١) «موطأ مالك» لأبي عبد الله مالك بن انس الأصبحي (ت١٧٩هـ) كتاب الأقضية. باب ما لا يجوز من النحل؛ «سنن البيهقي الكبرى» لأبي بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ) (٦/١٦٩)؛ «شرح معاني الآثار» لأبي جعفر احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الطحاوي (ت٣٢١هـ) (٤/٨٨).

ولابن سعد في «الطبقات»، قال ـ رضي الله تعالى عنه: «ذات بطن ابنة خارجة، قد أُلقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيرا»، فولدت أم كلثوم رضي الله تعالى عنها [1].

وإما عن طريق القلم وهو: من علوم مشايخنا علماء الشريعة الغرّاء ـ عليهم سحائب الرحمات والرضوان ـ علومُ الجادَةِ الشرعيةِ، ومنها علمُ الجبرِ أو الرياضيات؛ مثال ذلك: ٢ × ٢ = ٤ فتؤخذ عيّنات من بعض المخلوقات وتضرب، وتخرج النتيجة هل يوجد طفل في الرحم أم لا، أو عن طريق مشاهدة الأجهزة كـ «السونار وغيره»، وهذا الأمر أصبحَ معلوماً كالشمس في ضحاها؛ ومنها ما يُنبأُ بمشيئة اللّه عن الأنواء الجوية ـ كالمطر وغيره؛ لما اخرج

---

(١) «الطبقات الكبرى» لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت٢٣٠هـ) (١٩٥/٣).

البيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أصابتنا سحابة، فخرج علينا النبي ﷺ فقال: ﴿إن ملكاً موكلاً بالسحاب دخل عليَّ آنفاً فسلم عليَّ واخبرني أنه يسوق السحاب إلى وادٍ باليمن يقال له ضريح﴾ فجاءنا راكباً بعد ذلك، فسألناه عن السحابة فاخبر أنهم مطروا في ذلك اليوم[1]، وفي ((دلائل النبوة)) عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري بينا رسول الله ﷺ في مسجده ومعه رجال من أهل الريب وهم المنافقون إذ نشأت سحابة قال فأبدها رسول الله ﷺ عينيه، ثم جعل كأنه يتبع بصره شيئاً حتى نظر نحو بعض حجره قال: فقام فلبث ما شاء الله ثم رجع فجلس، فقلنا يا رسول الله رأيناك تصنع شيئا ما رأيناك تصنعه قال: ﴿إني بينا أنا معكم إذ

(١) ((الأحاديث المختارة)) لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي (ت٦٤٣هـ) (١٠/ ١٢٧- ١٢٨). ((مسند أبي عوانة)) للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفراييني (ت٣١٦هـ) (٢/ ١٢١).

نظرت إلى مَلَك تدلى من هذه السحابة فأتبعته بصري أنظر أين يعمد فإذا هو قد وقع في بعض حجري فقمت إليه فسلم عليَّ ثم قال: إني لم أزل استأذن ربي في لقيك حتى كان هذا أوان أذن لي في ذلك وإني أبشرك يا محمد أنه ليس آدمي أكرم على ربه منك قلت: ومن أنت؟ قال: أنا ملك السحاب الذي وكل به قلت: فهل أمطرتم شيئا من البلدان؟ قال: نعم أمطرنا بلد كذا وكذا وبلد كذا وكذا وبلد كذا وكذا وبلد كذا وكذا قلت: فهل أمرتم لنا بشيء؟ قال: أما في شهركم هذا فلا ولكنا قد أمرنا أن نمطركم في شهركم الداخل ليلة كذا وكذا في كذا وكذا من الشهر﴾ **قال ثم قام رسول ﷺ وتفرقنا، فقال أولئك النفر من المنافقين: قد فصل محمد بينكم وبين نفسه انظروا ما قال لكم فإن يك حقاً فالرجل نبي مرسل وإلا يكن حقاً فأنتم على ما أنتم عليه لم يزدكم في أمركم ذلك إلا شدو ثم خرجوا يتلقون الركبان فلا يسألون عن بلد من البلدان**

التي ذكر رسول الله ﷺ إلا أخبروا عنه بمطر قال فقالوا: سأل الركبان كما سألنا فأخبر ولكن انظروا الليلة التي وعدكم فيها ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدهم فيها ما وعدهم أمطروا فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ فقالوا: إنا كنا أهل ريب فهلم نبايعك بيعة جديدة فبايعهم رسول الله ﷺ فحسن إسلامهم وبورك لهم في ذلك المجلس[(١)]، وفي رواية الإمام مسلم وغيره: عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: ﴿هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟﴾ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: ﴿قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ

(١) ((دلائل النبوة)) لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) (١٨٣/١).

وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» (١)، والجمع بين الأدلةِ - فأعلم: أن تعارض الأدلة من أهم الأحكام الشرعية في ((أصول الفقه الإسلامي)) فهذا الأمرُ وتَعليمهُ بمشيئة الله وقدرته - جلَّ وعلا - سواء بواسطة أو بدون واسطة فهو علمٌ عطائيٌ مكتسبٌ بمشيئة الله وفضله ورحمته لبعض عباده كالوحي، والقلب، والقلم - وبما نحن بصدده عن القلم؛ قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ (٢)، وقال - عليه الصلاة والسلام: «إن اللهَ يصنعُ كلّ صانعٍ وصَنعتَهُ» (٣).

- وعن طريق هذه الدلالة الكبرى من نصوص الشريعة الغرّاء بما جاء في الكتاب المجيد، والسنة

(١) ((صحيح مسلم)) كتاب الإيمان. باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٢) سورة الصافات.

(٣) ((خلق أفعال العباد)) للإمام البخاري ص(٤٦).

الطاهرة الشريفة، وما أُستُنبط منهما بالقلب والقلم؛ معرفةً وعلماً؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾[1]، فهم أهلُ العلم والفقهِ، اجتهاداً؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[2]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: بكل العلوم والمغيبات قبل الكون وبعده، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، يُعلمُهمُ الله بقدرتهِ ورحمتهِ، من علم الغيوب وأسرار العلوم الخفية ـ من المحكم والمتشابه بإذنه وتوفيقه ـ جلَّ وعلا، يقيناً، ورحمةً للأمةِ المرحومة.

(١) سورة النساء.

(٢) سورة آل عمران .

وهـذا غـيض مـن فـيض، وغيرهـا كـثير مـن القواعد التي ذكرناها في هذه الرسالة المباركـة، مـن توفيق الرّحمن الرّحيم ـ مُثبتين أن هذا الـدين هـو: الـدين الكامـل والخـاتم وهـو الأمـنُ والأمـانُ والاستقرارُ والأُنسُ والبقاءُ لنعـيش مـع الله بـدين الله علماً ومعرفةً، أدباً وحباً، غيرةً وحكماً وتحكيمـاً ـ عسى اللَّهُ أن يَرحمَ قلوبَنا ويمنَّ علينا برضوانه ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ ـ سـائرين إلى مقـام المعرفـةِ الربانيـةِ متشـبثين بقولـه تعـالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ (١). وأقـول لأهـل الحب الإلهي:

جنّـاتُ ذكْـرِك فـي الفُـؤادِ مَعـالمٌ ومَعـاني حُبِـكَ لِلجِـنانِ حَنـانُ
وَودادُ حُبِــكَ لِلجِنــانِ مَحاســنٌ تــبَقى وحُبــِكَ لِلنعـيمِ جِنــانُ

(١) سورة آل عمران.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

اللَّهم أرحم هذه الأمة المرحومة عفواً ومغفرةً، حفظاً ونصراً، رحمةً وتوفيقاً وفتحا.

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [1] **آمين. آمين. يا مولانا يا رب العالمين. سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك** ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [2].

خادم الدين والأمة

الشيخ عباس السيد فاضل الحسيني النقشبندي

العراق - سامراء - القلعة

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الصافات.